الرِّسَالَةُ الْمُخْتَصَرَةُ
إِلَى قُدَامَى الْمُجَاهِدِينَ الْبَرَرَةِ



أبو حذيفة السوداني

بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

1448هـ 2026م

بيت المقدس

الرِّسَالَةُ الْمُخْتَصَرَةُ

إِلَى قُدَامَى الْمُجَاهِدِينَ الْبَرَرَةِ

الشيخ أبو حذيفة السوداني

- حفظه الله -

بيت المقدس

أخي هل تُراك سئمت الكفاح؟

وألقيتَ عن كاهليك السلاح ...

فمن للضحايا يواسي الجراح؟

ويرفع راياتها من جديد ...

إلى رموز العزة وفخر الأمة..

إلى قدامى المجاهدين البررة، كل التحية والتقدير لتضحياتكم التي أزهرت وأينعت (تقبل الله منكم)،

كنتم وما زلتم القدوة والمنارة، دامت أرواحكم شامخة ودامت بصمتكم في تاريخنا رمزاً للبطولة والوفاء ..

الفهرس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين،

أما بعد:

إلى المجاهدين السابقين أولئك الذين جاهدوا في أفغانستان والشيشان، وفي العراق والشام وغيرها من ساحات الجهاد، وشغلوا بعد عودتهم بأمور المعاش وأمور أخرى،

أقول لهم:

بأن المعركة لم تنتهِ بعد.

قال سيد قطب رحمه الله:

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء (عبء حمل الدعوة)، فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ ماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ والمتاع المريح؟ ولقد عرف رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة الأمر وقدره، فقال لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: (مضى عهد النوم يا خديجة)، أجل مضى عهد النوم، وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق.

أبو حذيفة السوداني.

الأربعاء

غرة شهر صفر 1448 هجري.

أنزِلوا النَّاسَ مَنازِلَهم ...

قال الأستاذ سيد قطب في(ظلال القرآن) وهو يتحدث عن مجتمع (المدينة النبوية) عند تفسير الآية رقم (100) من سورة التوبة:

"نعم إنه كانت في هذا المجتمع ما تزال هناك أقدار متفاوتة أنشأتها الحركة العقيدية ذاتها ؛ فتميزت مجموعات من المؤمنين بأقدارها على قدر بلائها في الحركة وسبقها وثباتها . .

تميز السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ..

وتميز أهل بدر ..

وتميز أصحاب بيعة الرضوان في الحديبية..

ثم تميز بصفة عامة الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ..

وجاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ،

والأوضاع العملية في المجتمع المسلم ،

تؤكد هذه الأقدار التي أنشأتها الحركة بالعقيدة ، وتنص عليها ". انتهى.

أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟

فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَضَعْ أَسْلِحَتَهَا...

بعد انتهاء غزوة الأحزاب وانصراف المشركين من حـول المدينـة، انصـرف رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة؛ لم يكن إلا أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل فقال:

(أوضعت السلاح؟

والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها

فانهض بمن معك إلى بني قريظة،

فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم،

وأقذف في قلوبهم الرعب،

فسار جبريل في موكبه من الملائكة، ورسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار).

في لحظات التراجـع أو الانكفـاء على الـذات التـي قـد تفرضـها ضـرورات الحيـاة ومتطلبات المعاش، يظل الوعي بــ (الرسـالة الكبـرى) هـو البوصـلة التـي توجـه المسلم. إن استحضار المشاهد التاريخية، وتحديداً مـا تـلا غـزوة الأحـزاب، يقـدم درسـاً بليغـاً في مفهـوم الاسـتمرارية والمجاهـدة التـي لا تتوقـف عنـد مرحلـة معينة.

عندما عاد النبي ﷺ من معركة الأحزاب، كان التعب قد أنهك الجسد، فوضع سلاحه، وهي استراحة المحارب الطبيعية. ولكن جاء التوجيه الإلهي عبر جبريل عليه السلام بعبارة ترن في أذن التاريخ: (والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد). هذه العبارة ليست مجرد توجيه عسكري، بل هي قاعدة إيمانية تفيد بأن الحق لا يخلد إلى الراحة طالما أن الباطل لم يندحر، وأن رسالة الإصلاح والدفاع عن الحق هي تكليف مستدام لا ينتهي بانتهاء معركة أو تحقق نصر جزئي.

إن الخطاب الموجه لشباب الأمة اليوم خاصة المجاهدين السابقين يتجاوز السياق التاريخي ليلامس واقعهم. فبعد أن خاض هؤلاء النفر الكرام تحديات كبرى في ساحات متعددة، وجدوا أنفسهم أمام (تحديات المعاش) وضغوط الحياة اليومية. إن هذه الضغوط ليست تبريراً للقعود عن الرسالة، بل هي سياق جديد للمجاهدة، مجاهدة النفس من أجل الثبات على المبادئ في ظل ظروف اقتصادية ومعيشية ضاغطة. والعمل على إعادة ترتيب الأولويات من خلال التذكير بأن الاهتمام بأمور الدنيا لا يعني الانفصال عن قضايا الأمة الكبرى.

إن (وضع السلاح) في المفهوم المعاصر قد يتخذ صوراً متعددة، أهمها: الاستسلام للإحباط، واليأس من التغيير أو الشعور بأن التحديات أكبر من القدرات الفردية. أيضاً الانكفاء على الذات، والانشغال بالهموم الشخصية والتحول إلى مراقب بعيد لما يجري في الساحة. والأخطر هو فقدان البوصلة، ونسيان الأهداف الاستراتيجية والانشغال بتفاصيل يومية لا تقدم ولا تؤخر.

إن الدرس المستفاد من قصة غزوة بني قريظة هو أن المبادرة بالحق، والتقدم فيه، يفتح الآفاق، وأن روح (الاستمرارية) هي التي تصنع الفرق بين أمة حية وأمة تنتظر.

إن المعركة الحقيقية هي معركة الوعي والإرادة، وهي معركة لا تضع أوزارها إلا ببلوغ الغايات التي أرادها الله من هذه الأمة.

فَرِيضَةُ العُمْرِ ...

هذه (كلمات من القلب) لكل من كـان مـن أهـل السـابقة، ولكـل صـاحب تجربـة، أولئك الذين قاتلوا قديماً في الجبهات؛ أو الذين دخلوا السجون في سـبيل اللـه، ثم جلسوا اليوم على قارعة الطريق وتركوا ميادين النزال، وما أبـرئ نفسـي فأنـا والله المستعان واحد منهم، فيا ليتني فيها جذع.

لا يُقاس الرجال ببدء المسير، بل بالثبات عليه حتى بلـوغ المسـتقر. إن أشـد مـا يُبتلى به أصحاب التجارب، ومن خبروا دروب البذل والتضحية قديماً في جبهـات العز أو صقيع السجون، هو وَهَمُ (التقاعد)؛ ظناً منهم بأن ما مضـى مـن سـابقةٍ يكفي ليشفع لقعود اليوم.

لكن الحقيقة التي تصدح بها قيم البذل والجهـاد هـي أن الجهـاد لـيس عبـادة طارئة، تنتهي بانتهاء جولة أو انقضاء مرحلة، ثم يعود المرء بعدها ليتكئ على أريكته، يبكي أطلال الماضي، ويتغنى بأمجادٍ خلت ليعيش على الذكريات. إنمـا هو بيعة العمر، وعهدٌ وثيق مع الله تعالى؛ رحلـة بـذل دائـم وعطـاء مسـتمر، لا تُلقى فيها عصا الترحال إلا في الجنة.

إن بقاء أصحاب الخبرة والتجربة في المقاعد الخلفية اليوم لـيس مجـرد تراجـع، بل هو كبوة تضر الجيل الحاضر بأكملـه. يقـع على عواتـق هـؤلاء واجـب عظـيم يفـرض علـيهم:أن يكونـوا قـدوات حيـة تُلهـب العـزائم ولا تخبـو. أن يتقـدموا

الصفوف فيسعروا الحرب بوقود خبرتهم وثباتهم.أن يقودوا المعركة بوعي من خبر الدروب وعرف مآلاتها.

إن الطريق -كما قيل بحق- لمن صَدَقَ وليس لمن سَبَقَ. فالسبق بلا استمرار يصبح حجة على صاحبه، والصدق في مواصلة الطريق هو المحك الحقيقي عند اشتداد الكرب.

إن القعود اليوم -في وقت تعيّنت فيه الواجبات وصار الجهاد فرض عين- ليس خياراً سائغاً، بل هو إثم يربأ بصاحب التاريخ المشرف أن يقع فيه، وكبيرة من كبائر الذنوب إن لم يكن ثمة عذر شرعي يبيح لصاحبه التخلف عن القتال في سبيل الله.

إن الدعوة قائمة وموجهة لكل صاحب سابقة، لا تتذرع بقلة الناصر، ولا تنتظر جموع الجيوش؛ انزل إلى ساحة التأثير، اجمع حولك شباب هذا الجيل، واغرس فيهم روح الثبات والتضحية، كن مثالاً حياً لهم،ثم هاجم بها أوكار الباطل.

إن نصر الله ليس أمنية تُرتجى بلا عمل، بل هو وعدٌ مشروط بالبذل والحركة، وكما قال الحق سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ).

فقم وأحي سابقتك ..

وجدّد عهدك ..

فما زال في العمر بقية للمسير.

واجِبُ الوقتِ ...

الصدع بالحق وبيان حكم الله في الواقع الذي نعيشه وقول كلمة الحق في وجه الطاغوت لا شك أنه من أعظم الواجبات وأفضل الجهاد وقتيل الحق فيه من سادة الشهداء.

لكن ..

القول إنّ المعركة الآن هي معركة (توضيح الحقائق والعقائد)، وليس لك سوى ذلك والاكتفاء بهذا الأمر والاشتغال به فقط وترك ما سواه، هو (حيدة) عن واجبات أخرى، وإن لم تكن هذه هي السلمية، فقل لي بربك ما هي السلمية.

وهذه الدعوة إن أحسنّا الظن بقائلها هي (تخدير) للجموع، وتشجيع على الاكتفاء بالمشاهدة والفرجة، دون عمل حركي ملموس.

ونحن نعلم علم اليقين، ضعف هذا الجانب، وقلة بل ندرة من يصدع بالحق بلا تقية أو مداراة إلا من رحم الله، بل لا تكاد تجد من يصعد منبره آخذاً بالعزيمة على درب الإمام أحمد بن حنبل، بل تجده يعتذر لنفسه بالإكراه وخشية السجن والأمنيَّات، والخوف على مكاسبه الدعوية ظانّاً أن الدين سيندثر بغيابه، ما درى المسكين أن من أحيا الدين أحياه الله، وأعلى ذكره في الدارين، وفتح له قلوب الناس بسبب صدعه بالحق.

قتال (الطائفة المرتدة) واجب على المسلمين، وهو فرض عين (إلا على صاحب عذر شرعي)، وهو من باب قتال الدفع لا يُشترط له شرط سوى القدرة، فإذا عدمت القدرة وجب الإعداد، مع العلم أنّ (القدرة) هي شرط وجوب لا شرط صحة، فمن قاتلهم وقد أيقن الهلاك وعدم حصول الظفر والغلبة فهو مجاهد مأجور غير مأزور إن أخلص نيته.

الواجب الآن هو (الصدع بالحق)، واحتمال الأذى في سبيل الله، وفي الوقت ذاته القتال لتكون كلمة الله هي العليا، لا ترك الباطل ينتفش ويتمدد والاكتفاء بالدعوة، إذ القتال في نفسه هو دعوة إلى تحقيق التوحيد وإرشاد المسلمين إلى معرفة ما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة، والحقائق لا توضح إلا بالحركة والعمل.

فإن حصل العجز عن القتال لفقدان القدرة فالواجب هو إعداد القوة والسعي لتحصيلها استعداداً للمواجهة الحتمية مع الباطل.

الشَّريعةُ أو الحَرب ...

ثبت من الأحداث التاريخية..أنه لا يقوم الجهاد في بلد حتى تسبقه تجارب ومحاولات جهادية صغيرة فشلت عسكرياً في الوصول إلى أهدافها .. ولكنها نجحت من حيث كونها صارت رصيد تجربة للأجيال تتعلم منها.. على الرغم من فداحة الثمن (قتل- أسر- تشريد).. ولكن هذا الطريق هو طريق التضحيات.. ولولا تلك المحاولات البدائية والتجارب لما استوى الجهاد على سوقه وأينعت ثمرته.. وكل من يأتي بعد ذلك هم عيال على السابقين وفي ميزان حسناتهم..

وعندها يبدأ ظهور (الجماعة) التي على كاهلها سوف تحمل أعباء الجهاد .. تقوم وهي تتكئ على إرث جيل أو أجيال من السابقين .. الذين مهدوا الطريق لنشوئها بدمائهم وأشلائهم .. تقوم هذه (الجماعة) متوكلة على ربها .. واثقة بنصره .. وتمر عليها فترات حرجة .. وتدخل منعطفات تاريخية .. وتشهد أحداثاً مفصلية .. وتتعرض صفوفها إلى تمحيص شديد وغربلة عظيمة .. فلا يثبت إلا من ثبته الله ..

وقيادة (الجماعة) ..ينبغي أن تكون على مستوى الحدث .. وهي مطالبة باتخاذ قرارات شجاعة .. فلا تتردد .. ولا تدفن رأسها في الرمال .. وتدور مع الحق حيث دار ..

والجماعة ..لها (استراتيجية) واضحة تسير على هديها .. ولها مشروعها الخاص.. فلا تذوب في مشاريع الآخرين.. ولا تعترف باللعبة الدولية.. ولا بتفاهمات الدول السياسية.. فهي جماعة منضبطة منهجياً .. وسط بين (الخوارج) و (المرجئة).. وتلتزم سياسة شرعية راشدة في التعامل مع الأحداث ..وأفرادها أصحاب (إرادة قتالية) عالية جداً ..لا تتحطم معنوياتهم بحروب العدو النفسية ..

عندها تصبح تلك الجماعة هي (نجم الساحة) .. بلا منازع .. و (الراية) التي يجتمع تحتها الصادقون .. فهي أملهم المنشود .. وفردوسهم المفقود .. حتى يفتح الله عليهم ...

القضية المنسية ...

الحكم بما أنزل الله تعالى هو من (أفراد التوحيد) الذي هو حق الله على العبيد؛ فهو أمر واجب وفرض لازم، لسنا مخيرين فيه بين الترك والفعل. من قَبِلَهُ فهو المسلم حقاً، ومن رفضه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

إن القضية المنسية اليوم في السودان هي قضية تحكيم الشريعة؛ هذه القضية التي غفل عنها الناس، فإن الناس إذا سلمت لهم معايشهم وأرزاقهم ومآكلهم ومشاربهم ومساكنهم فإنهم لا يبالون بما يجري على هذا الدين العظيم، إلا من رحم الله وقليل ما هم.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب عنها وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطان أخرس؟ كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجدّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسْب وسعه. وهؤلاء ـ مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم ـ قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل". إعلام الموقعين(2/ 177).

من المصائب الكبار أن يدعو الداعي إلى تحقيق التوحيد، فإذا سنحت لـه فرصـة مناسبة للعمل بقي متفرجاً ينتظر أن يقع فعل الفاعل عليه، ولا يفكر أن يكـون هو صانعاً للحدث ومنقذاً للأمة؛ عـندها يعلم الناس أن دعوته مجرد دعوى وأنـه ليس إلا بائع أقوال.

سبحان الله ..

العورات النفسية تفضحها كلمات قائلها وسطور كاتبهـا وتبـدو ظـاهرة لكـل ذي لُبٍّ، لذلك يحاول صاحبها أن يُلبسها لباس الحكمة والعقل كي يخفي حقيقتهـا عن الناس، وإنما حقيقتهـا هـي طلـب سـلامة الـنفس والنـأي بهـا عـن مـواطن المحن والشدائد، والبخل والضنّ بها عن التضحية في سـبيل اللـه، وبيـان الحـق والصدع به في وجه الطاغوت.

إنه (الوهن) الداء العضال والمرض الدفين، إنه حب الـدنيا وكراهيـة المـوت الـذي أقعد بصاحبه عن الحركة والعمل لهذا الـدين، وجعلـه يحجـم عـن (كلمـة حـق) واضحة لا لبس فيها ولا غموض، لا حمالة أوجه، ولا عموميات لها (مخارج) تنقذه من بطش (الطاغوت).

والرزية كل الرزية هي حب الدنيا وإيثار السلامة والراحة والدعـة وهنـاءة العـيش وطيب المقام، واختيار الأمن والطمأنينة والاستقرار والسـلام على حسـاب الـدين وانتقاض عراه؛

في مقابل التضحية بالغالي والنفيس وبذل المهج والأنفس والأموال رخيصة من أجل نصرة هذا الدين العظيم، وثمناً لتحكيم الشريعة، ومهراً لتحقيق التوحيد الخالص.

لقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام تضحيات باهظة ودماءً غالية من أجل تحقيق التوحيد الخالص، والشريعة التي جاءت بحفظ النفس هي نفسها التي أمرت وحضت وحثت ودعت إلى التضحية وبذل هذه النفس رخيصة من أجل حفظ الدين، فحفظ الدين مقدم على حفظ النفس.

لقد أثبتت كل (الحلول السلمية) فشلها في تحقيق هذا المطلب الشرعي، يدل على ذلك وقائع الدهور وحوادث الأيام والشهور وتجارب الأمم المعاصرة خاصة فيما حولنا.

ولنكن صادقين مع الله، صرحاء مع أنفسنا، ما من سبيل لتحقيق هذا الواجب الشرعي إلا سبيل (العنف) و (العنف المسلح) وحده فقط، ولن نخجل من ديننا ولن نتوارى خلف أقنعة زائفة، الحل هو (القتال) في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا في جميع شؤون الحياة، ولن نستطيع القيام بهذه العبادة العظيمة حتى نتخلص من(عقدة) النقص والجبن والخوف، وحتى نكون (أئمة شهادة) نعشق الموت في سبيل الله، ونتحرر من حب الدنيا.

قديماً قال أحد أكابرنا عليه رحمة الله تعالى:

"إن راية التوحيد لن ترتفع إلا على جماجم الموحدين، وإن البلاد لن تُحكم بشريعة الله حتى تنال نصيبها من دماء أنصار الشريعة".

فليسوا بغير صليل السيوف

يجيبون صوتاً لنا أو صدى ..

فإما حياة تسر الصديق

وإما ممات يغيظ العِدى ..

أنفاسُ الرَّعيلِ الأوَّلِ ...

الأمة اليوم في أمسِّ الحاجة إلى الثابتين؛ تحتاج إلى (بقيةٍ) تشبه الرعيل الأول، تحتاج إلى رجالٍ فيهم (أنفاسُ) الرعيل الأول، يحملون الراية كما حملوها، ويؤدُّون الأمانة كما أدَّوها، ويصونون العهد كما صانوه.

ما تحتاجه الأمة اليوم هو (شموخ الإرادة) في زمن الانكسار؛ حاجتُها تتعلق بقوة الروح، وصلابة الإرادة، وعزيمة القتال في سبيل الله، قومٌ فيهم روح الجيل الأول (جيل الراية)، أولئك الذين يحملون المبادئ والقيم على عواتقهم، ولا يطأطئون رؤوسهم أمام صروف الدهر، ولا تلين عزائمهم وإن اجتمعت عليهم الدنيا بأسرها، ويرفضون الانحناء أمام عواصف الترهيب، أو إغراءات الترغيب.

في زمنٍ تكثر فيه الفتن وتختلط فيه المفاهيم، وتضيع البوصلة عند الكثيرين، لا يكتفي (الثابتون) بالقول، بل يجسِّدون في سلوكهم معاني الاستقامة والجرأة في الحق، ويقدمون (القدوة العملية) ليكونوا منارةً يهتدي بها الحائرون.

لا شيء أخطر على الأمة من انتشار روح الهزيمة النفسية، إن هؤلاء الذين يرفضون طأطأة الرؤوس يكسرون حاجز الخوف لدى الآخرين، وجودهم بحد ذاته يبعث رسالة طمأنينة بأن الحق لا يضيع، وأن الأمة التي تلد رجالاً ونساءً من هذا الطراز لا تموت.

إن الأمة لا تُبنى (بضعاف النفوس) الذين ينحنون مع كل ريح، بل تُبنى بأولئك الذين يظلون (شامخين) حتى في أحلك الظروف، إن شموخ الرأس إعلان بأن (صاحب الراية) ما زال حياً، وأن قضيته ما زالت تنبض في عروقه.

إن الحاجة اليوم ليست إلى كثرةٍ في العدد، بقدر ما هي حاجةٌ إلى (نوعيةٍ)في المواقف؛ حاجة إلى (نفوسٍ أبيّةٍ) أدركت أن الحياة الحقيقية للأمة سبيلها القتال في سبيل الله، وأن تحقيق التوحيد بقتال الطواغيت سُنَّة ربانية لا تتبدل، وأن الرأس الذي لا ينحني إلا لله هو الرأس الذي سيقود الأمة يوماً ما نحو استعادة مجدها وحضورها اللائق تحت الشمس.

إن (حاملي الراية) هم القوة الحقيقية للأمة، لأن رؤوسهم المرفوعة لا ترى إلا أفق الجنة موطناً لها، ولا تنظر إلى موطئ قدمها خضوعاً أو خنوعاً.

آفَةُ الْقُعودِ وَالتِّجارَةِ بالماضِي ...

الجهاد هو فريضةُ العمر ما دامت عِلَّةُ وجوده قائمـة؛ في قتـال الكفـار الأصـليين والطوائف المرتدة، ودفع صيال المعتدين، وفك أسارى المسلمين، وغياب الخلافة الإسلامية.

إن قيمـة الجهـاد تكـون في ديمومتـه وإخلاصـه، وأن يظـل صـاحبه ثابتـاً على المنهج، ماضياً على الطريق، لا يقيل ولا يستقيل؛ نصر أو شهادة.

يبدأ المجاهد حياته بصفحة بيضاء، يخطُّها بمداد من الدماء والتضحية والفـداء. حين تشتعل الحماسة وتتوهج الروح بالبذل والعطاء، يبيع راحة نفسـه، ويقـدم زهرة شبابه، ويضحي بروحه؛ تملأ قلبه غايةٌ أسمى من طين الأرض وزخرفها.

ومع مرور الأيام وتعاقب السنين، تتسلل إلى نفوس البعض بواعث التعب، وتلوح في الأفق مغريات الدنيا وزينتها من مال وجاهٍ وراحةٍ بعد طول عنـاء. هنـا تبـدأ نقطة التحول الخطيرة في حياة المجاهد؛ حيث يتحول بريق القضية في عينـه تدريجياً إلى بريق الدَّعَةِ والاستقرار والعيش الرغيد والإخلاد إلى الأرض.

إن الركون للدنيا ليس مجرد أخذ قسط من الراحـة، بـل هـو تحـول في البوصـلة الداخلية للمجاهد؛ حيث ينقلب الرجل من (مبادر) يرى القتـال واجبـاً، والتضـحية

شرفاً، والرباط حياةً، إلى شخص آخر ونسخة جديدة قد انطفأت فيها حرارة الجهاد، وخَبَت تلك الروح التواقة للشهادة في سبيل الله، وحَلَّت مكانها روح تبحث عن طمأنينة زائفة، ومكاسب مادية، ومكانة اجتماعية.

إن أخطر ما يصل إليه المرء في هذه المرحلة ليس مجرد تركه للعمل، بل هو الاتجار بالماضي؛ فبعد أن كان الفعل هو سيد الموقف، يصبح الكلام عن الفعل هو البضاعة الوحيدة الرابحة.

وأنا لا أقصد —معاذ الله —أولئك الذين يتحدثون عن الماضي بنية التحريض على الجهاد، أو توجيه الجيل الشاب، أو مزاحمة أهل الباطل، أو تفصيل سبيل المجرمين، أو لتكون قصصهم ملهمة للأجيال القادمة؛ فأولئك نحسبهم مأجورين، والأعمال بالنيات.

بوَّب البخاري في صحيحه (باب من حدَّث بمشاهده في الحرب)، وروى بإسناده عن السائب بن يزيد قال: صحبت طلحة بن عبيد الله وسعداً والمقداد بن الأسود وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فما سمعت أحداً منهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أني سمعت طلحة يحدث عن يوم أحد.

قال ابن بطال وغيره :

"كان كثير من كبار الصحابة لا يحدِّثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية المزيد والنقصان ، وقد تقدم بيان ذلك في العلم ، وأما تحديث طلحة

فهو جائز إذا أمن الرياء والعجب ، ويترقى إلى الاستحباب إذا كان هناك من يقتدي بفعله".

لكن المصيبة هي حين يتحول المجاهد القديم إلى (حكواتي) يبحث عن الصدارة والوجاهة حتى يكون محط الأنظار والإشارة إليه بالبنان، راكضاً خلف الشهرة عبر استدرار عواطف الناس وإعجابهم ببطولات قد مضت وانقضت، أو ليُشعر نفسه والآخرين بأنه لا يزال ذا قيمة، رغم أن واقعه الحالي فارغ من أي جهاد حقيقي.

إن أشد أنواع الإفلاس هو أن يعيش الرجل على أمجاد ماضيه، بينما حاضره يغطُّ في نوم عميق من القعود عن الجهاد وترك الغزو في سبيل الله والرضا بأن يكون مع الخوالف.

المجاهد القديم صاحب السابقة ينبغي أن يكون متواضعاً لله وللحق، لا مستعلياً بما قدم على الخلق، وألا يضع عصا القتال في سبيل الله عن عاتقه حتى النصر أو الشهادة، الأمة اليوم تحتاج إلى الثابتين، الذين يقاتلون في الصفوف الأولى، لا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا أو يُفتح لهم.

إن مَن جعل جهاده القديم جسراً يعبر به إلى حطام الدنيا والشهرة، فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وربما حبط عمله من حيث يدري أو لا

يدري، وسقط من عين الله، وتحول في نظر الناس من (بطل) في كتاب التـاريخ، إلى مجرد (ظاهرة صوتية) تبحث عن التصفيق في حاضر باهت.

عَلَى خُطَى عَمَّارٍ: جِهَادٌ لَا يَحُدُّهُ زَمَنٌ ...

إن العمر في ميزان الإيمان ليس عداداً للسنين، بل هو رصيد من العطاء لا ينفد إلا بخروج الروح. ولعل النداء الذي يوجه للرجل (الأربعيني) ليذكره بأن القوة تكمن في القلب لا في العضلات، هو استنهاض للهمة في وقت يظن فيه البعض أن قطار العطاء قد بدأ يهدئ من سرعته.

روح لا تشيخ وعزيمة لا تنكسر ..

عندما يبلغ الإنسان الأربعين، فإنه يصل إلى مرحلة (أشُدَّه)، وهي مرحلة نضج العقل واكتمال الحكمة، وليست محطة للتقاعد عن معالي الأمور. إن حجة (تقدم السن) تتهاوى تماماً أمام عظمة النماذج التاريخية التي سطرها الصحابة الكرام.

لقد قدم لنا الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه درساً في الإرادة يتجاوز حدود المنطق البشري المعتاد، خاض ملحمة "صفين" وهو يبلغ من العمر (93) عاماً، لم يمنعه وهن العظم ولا اشتعال الرأس شيباً من حمل سيفه والذود عن الحق.

إن الجسد قد يضعف، لكن العقيدة المشتعلة في الصدور تمنح صاحبها قوة الشباب وعنفوان الفرسان.

العمر مجرد رقم ..

لا تجعل الأربعين أو الخمسين عذراً للفتور، فالنبي ﷺ بُعث وهو في الأربعين، فغير وجه التاريخ، أنت الآن في أوج حكمتك، ودينك أحوج ما يكون إلى سداد رأيك وثبات قدمك، إن من عاش على شيء مات عليه، ومن اعتاد العطاء شاب عليه.

إذا كانت الأبدان تخضع لقانون الزمن، فإن الأرواح المؤمنة تسمو فوقه. كن كعمار بن ياسر، اجعل آخر أيامك في الدنيا هي أكثرها عطاءً وجهاداً، ولا تسمح لليأس أن يتسلل إلى قلبك بحجة (تقدم العمر)، فالفارس الحقيقي هو من يترجل عن صهوة جواده وقد بلغ القمة.

هَمْسةٌ في أُذُنِ شابٍّ ...

أما أنت أيها الشاب الموحد ..

يوماً ما ..

ستكتشف أن الكثيرين ممن حولك قد سـبقوك على درب الجهـاد في طـريقهم إلى الله؛ وأنت لازلت قابعاً خلف شاشة جهـازك؛ تتنـاثر سـنوات عمـرك مـن بـين أصابعك كمـا تتنـاثر حبّـات الرمـل؛ أحلـى أيـام حياتـك وأجمـل سـنوات عطائـك قضيتها بعيداً عن ساحات النزال؛ لـم تلـج بـاب الجهـاد؛ ولـم تغبـر قـدميك في سبيل الله؛ ولم تطلق طلقة واحدة في نحور أعداء الله.

المسلم إما أن يجاهد في بلده..

أو يهاجر ليجاهد في بلد آخر تُقام فيه راية الجهاد.

وفي كل الأحوال..

ينبغي عليه الاهتمام بالتدريب العسكري

وإعداد نفسه وتأهيلها لهذه العبادة العظيمة

وأن يعدّ العدّة للجهاد بانتظار الفرصة المناسبة.

يجب أن تكون صاحب قضية؛ تعيش من أجلها؛ هي شغلك الشاغل في هذه الحياة؛ تتغلغل في سويداء قلبك؛ تجعلها هدفك وغايتك التي تحيا وتموت من أجلها.

لكن أن تكون بلا مشروع تسعى له..

فتقعد بلا هدف..

وتعيش بلا برنامج..

ثم تنكص على عقبيك..

فليس هذا سبيل الموحدين..

ولا طريق أتباع الرسل.

اِلْحَقْ بِالقَافِلَةِ ...

كتب ابن النحاس في مقدمة كتابه (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق) :

(ومما يجب اعتقاده أن الأجل محتوم، وأن الرزق مقسوم، وأن ما أخطأ لا يصيب، وأن سهم المنية لكل أحد مصيب، وأن كل نفس ذائقة الموت، وأن ما قدر أزلاً لا يُخْشَى فيه الفوت، وأن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن الرِّيَّ الأعظم في شرب كؤوس الحتوف، وأن من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار، ومن أنفق دينارا كُتِبَ بسبع مائة -وفي رواية- بسبع مائة ألف دينار، وأن الشهداء حقا عند الله من الأحياء، وأن أرواحهم في جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وأن الشهيد يغفر له من جميع ذنوبه وخطاياه، وأنه يُشَفَّع في سبعين من أهل بيته ومن والاه، وأنه أَمِن يوم القيامة من الفزع الأكبر، وأنه لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر، وأنه لا يحس ألم القتل إلا كمس القرصة، وكم للموت على الفراش من سكرة وغصة، وأن الطاعم النائم في الجهاد أفضل من الصائم القائم في سواه، ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النارَ عيناه، وأن المرابط يجري له أجر عمله الصالح إلى يوم القيامة، وأن ألف يوم لا تساوي يوما من أيامه، وأن رزقه يجري عليه كالشهيد أبدا لا ينقطع، وأن رباط يومٍ خير من الدنيا وما فيها أجمع... إلى غير ذلك من الفضل الذي لا يضاهى، والخير الذي لا يتناهى. وإذا كان الأمر كذلك فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتب وإن كان نيلها مقسوماً، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محروماً).

تَوْأَمُ الشَّهادَةِ ...

على درب الجهاد الطويل الشاق، وفي وسطِ تكاليفه وآلامه، وغُصَصِه وعذاباته، وفي زحام هذا العالم وصخبه المتواصل، نتحمل من الأعباء ما يُثقل الأرواح ويملأ القلوب بـالخوف والترقـب. ثَمَّـة شـيء يصـنع (فارقـاً) في أعماقـك؛ تتغيـر معـه القوانين، وتتلاشى الأضواء في لحظة خاطفة واحدة، لحظة أن تقول لك زوجتك وتوأم روحك: (يا أنا، نريد أن نستشهد في سبيل الله معاً).

هذا شيء لا تصفه الحروف ولا تحدُّه الكلمات، ففي هـذه اللحظـة بالـذات يفقـد الكلام قيمته التقليدية؛ إذ ما حاجتنا إلى ثرثرة الحروف حين تكون هذه الأمنيـة وحدها لغة كافية تملأ كل فراغات الروح.

هذا الرابط الروحي الخفي الذي يجعل قلبين ينبضان على إيقاع واحد: (الشهادة في سبيل الله)، حالة وجدانية تلازم الأنفاس أينما حلـت وارتحلـت، أثـر لا يـذبل، وطمأنينة تسكن الأعماق، تمنحنا القدرة على الصمود ومواصلة الطريق، تجعلنـا نبتسم رغم المصاعب والمشاق، وتمنحنا الشعور بالامتلاء حتى في عز الغياب.

العاطفـة الحقيقيـة تنمـو وتـورق في ذات اللـه؛ إنـه الحـب في أصـفى مراتـب طهارته وفي أسمى تجلياته، فهو لا يتغذى على المادة بل يقتـات علـى الـروح، المدهش في الحب الصادق ليس فقط ما نشعره تجـاه الزوجـة الحبيبـة، بـل مـا نكتشفه في أنفسنا بسببها، يكتشف المرء جانبـاً خفيـاً مـن روحـه، جانبـاً لـم

يألفه من قبل؛ جانباً نقياً متخففاً من مطامع الدنيا ورغباتها المعقدة، يتحول الطموح كله، وتختزل الحياة العريضة في أمنية واحدة بالغة البساطة والعمق معاً: (الشهادة في سبيل الله).

تصبح الزوجة (عاشقة الشهادة) هي الملاذ، وهي الوطن، وهي المكان الذي تضع فيه الرحال وتستريح عنده نبضات القلوب بعد طول اغتراب.

إنها روعة (رُوحَيْن) في جَوْفَيْ طيرين أخضرين يسرحان من الجنة حيث يشاءان، يردان أنهارها، ويأكلان من ثمارها،ثم يأويان إلى قناديل معلقة في عرش الرحمن، إنها نهاية الرحلة الطويلة الشاقة في الدنيا، تلك (ختام) المعاناة، وبداية اللقاء السرمدي الخالد بفضل الله ورحمته وكرمه.

الوَجَعُ الصَّامِتُ ...

قال العلامة الصفدي رحمه الله في كتابه (الوافي بالوفيات) في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وكان ما ينشد قول ابن صردر:

تَمُوتُ النُّفُوسُ بِأَوْصَابِهَا

وَلَمْ يَدرِ عُوَّادُهَا مَا بِهَا ...

وَمَا أَنْصَفَتْ مُهْجَةُ تَشْتَكِي

أَذَاهَا إِلَى غَيْرِ أَحبَابِهَا ..."

انتهى كلامه رحمه الله.

كم من نفسٍ رحلت عن هذه الدّنيا، أو كادت، وهي مثقلةٌ بأوجاعٍ وآلام وأمنيات وخيباتٍ لم يبُح بها اللسان، وكم من عائدٍ زار مريضًا، أو صديقٍ تفقّد خليلًا، وهو يظنّ أن علّته في جسده، بينما العِلّة الحقيقيّة قاطنةٌ في سويداء قلبه.

إنه الوجعُ الصّامت الذي ينهشُ الرّوح دون أن يترك أثرًا على ملامح الجسد، حين يختارُ المرءُ أن يلوذ بالصّمت، ليس رغبةً في الغموض، بل لأنّ بعض الأوجاع أكبرُ من حجم الحروف.

إنّها الأوصابُ الخفيّة؛ تلك الغصّات التي تتردّد في الصّدر عند حلول الليل، والدموع التي تُبتلع في عِزّ النهار، فيكتمها صاحبها أسىً وتجمّلاً.

قد ترى المُهجةُ أنّ الشّكوى لغير الله، أو لغير من يملك دواءً، خذلانٌ لكبرياء النفس وصونها، فتختارُ صمتًا جميلًا يترفّع عن استجداء العطف، أو بثًّا واعيًا لمن بيده ملكوت القلوب، وربما تلوذ بالصمت رفقاً بخليلها حتى لا تزعِجه بآلامها وشكواها.

ليتَهُ أخذَ بقول بشّار بن برد:

وَلا بُدَّ مِن شَكوى إِلى ذي مُروءَةٍ

يُواسيكَ أَو يُسليكَ أَو يَتَوَجَّعُ ...

ولكنه الموت الصّامت، حين موت الشّغف، وتذبذب الأمل، وانطفاءُ بريق العينين، تموتُ النّفس ببطءٍ وهي تتكئ على جدار الصّبر، والعالم يظنّها بخير لأنّها ما زالت تبتسم، أو لأنّها لم تشتكِ.

هذا أبو فراس الحمداني حيث يصور لنا عزة النفس في أبهى صورها رغم لوعة الشوق، في أبياته التي تحمل قمة الشموخ والكبرياء:

بَلى أَنا مُشتاقٌ وَعِندِيَ لَوعَةٌ

وَلَكِنَّ مِثلي لايُذاعُ لَهُ سِرٌّ ..

إذا اللَيلُ أضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى

وَأَذلَلتُ دَمعاً مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ ..

تَكادُ تُضيءُ النارُ بَينَ جَوانِحي

إذا هِيَ أذكَتها الصَبابَةُ وَالفِكرُ ..

سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم

وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ ..

هذه دعوةٌ لأن نكون أكثر رفقًا بقلوب من نحبّ، وأكثر عمقًا في قراءة صمتهم، فليس كلّ من قال: (أنا بخير) يعيشُها حقًّا، وربّما خلف النّبرة الهادئة صرخةٌ كتمتها كبرياءُ النّفس الحزينة.

غُربةُ الرُّوحِ ...

الكلمات تُمحى والصور تُبلى، ولا يستبقيها في القلوب إلا أن يهرول صاحبها إلى الشهادة، فيتوهَّج الحرف والكلم حياً يقتات من دمائه؛ فالكلمات المغموسة في دواة الدم لا تقع إلا في القلب.

هذا الكهل السوداني يعيش بروحٍ قد هاجرت لا ترى الدنيا موطناً لها، وجسدٍ ما زال عالقاً في أزقة الفناء، بساقٍ واحدة وأخرى صناعية.

انصرم حبل الصلة بينه وبين ما يَؤُمِّلُه البشر من متاع زائل؛ فلا طموح يغريه، ولا دنيا يسعى إليها، ولا مشاريع أموال يركض خلفها، حتى الجفاء صار لا يؤذيه، اعتاد صقيع العزلة والوحدة ومضى مصطبراً، يغلِّفه رماد الفقد الذي تركه الحنين في أعماقه.

ينكفئ قلبه الأسيف على تساؤلات المصير والنهاية والخاتمة، متوسِّداً ذكريات راحلين غيّبهم الموت لكنهم حاضرون في كل خلجة من خلجات صدره.

لم يعد في هذا العالم اتجاه يثير شغفه، فكل الطرق، وكل التفاصيل، وكل التفاتات العين لا تقوده في نظره إلا إلى هناك،

إلى تلك المعارج الطاهرة، معارج الشهداء حيث ارتقى الأحبة.

هذا الكهل السوداني قد توحَّدت قِبلته واتجهت بوصلته نحو غاية واحدة يمّـمَ وجهه شطرها، تختزل الوجوده كله في نظره: طريق الشهادة.

يشغله فضاء نُخبـة الشـهداء، ويتأمـل مـراتبهم العاليـة بسُـلُوٍّ تـام عـن كـل مـا سواهم، لقد بات يرى في الشهادة البوابة الوحيدة لغسل رماد الدنيا، واسـتعادة النبض المنكمش، والتحرر من سجن الجسد وضيق الأرض إلى سعة السماء.

لكن الوجع الحقيقي، والشرح الأكثر عمقاً يكمن في ذاك الشعور بالاحتجـاز، أنـه عالق في هذه الدنيا، لم يُؤذن له بالرحيل بعد.

إنها غربة الروح التي تلمح شاطئ النجاة ويُحال بينها وبين ركـوب البحـر للعبـور إلى ضفة الأمان، وما بـين هـذا وذاك يعـيش الكهـل السـوداني (أسـيف القلـب) يحدوه خوف صامت وأمـل حـذر، يخشـى أن تكـون خطيئاتـه أو تقصـيره حجابـاً يحول بينه وبين نيل هذا المبتغى العظيم. ويخشى أن تكون دنياه التي يجرجر أذيالها عائقاً يمنعه من لقاء الأحبة الذين سبقوه إلى دار الحق.

هو انتظار مضنٍ، يمتزج فيه الشوق بالخوف، والرجـاء بالانكسـار، في انتظـار تلـك اللحظة التي يُفتح فيها باب السماء، ليتحـول الظـل المتلاشـي إلـى نـور ممتـد، والنبض المنكمش إلى خلود أبدي.

بيت المقدس